المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر -
الجمهورية العراقية

المجلد الثالث عشر - العدد الثالث - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

٣

مكتبة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com/

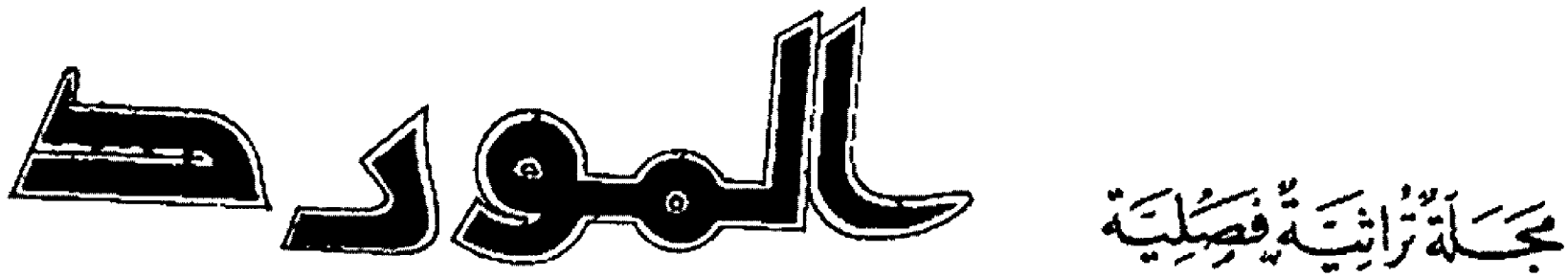

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـ بغداد ـ الجمهورية العراقية

المجلد الثالث عشر
خريف ١٩٨٤
العدد الثالث

رئيس التحرير عبد الحميد العلوجي

سكرتير التحرير صادق هاشم

مكتبة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com/

عنوان المجلـة

مجلـة المـورد

بناية المكتبـة الوطنيـة

باب المعظم ـ بغـداد

الجمهورية العراقيـة

مكتبة لسان العرب

http://lisaanularab.blogspot.com/

أبو جلدة اليشكري
حياته وشعره

د. نوري حمودي القيسي

كلية الاداب ـ جامعة بغداد
رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

من الشعراء الاسلاميين المنحدرين من بكر بن وائل ، ومن شعراء الدولة الاموية الذين احتضنتهم الكوفة كان شاعرنا ابو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب، وقد عرف بصلته الوثيقة بالحجاج حتى كان ـ كما تقول الروايات من اخص الناس به(١) وبعثه وبعث معه عبدالله بن شداد بن الهادي الليثي الى عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام فخطب الحجاج منه ابنته ام كلثوم(٢) .

ومن الغريب ان تتحول هذه العلاقة عند الشاعر الى عداء سافر فيخرج مع ابن الاشعث ، ويكون من اشد الناس تحريضا على الحجاج حتى ان الحجاج قال ـ عندما وضع بين يديه راس الشاعر وبعد ان مكث ينظر اليه طويلا كم من سر اودعته في هذا الراس فلم يخرج حتى اتيت به مقطوعا .. وحالة الشاعر هذه توحي باسباب كثيرة ، وتدل على امور لم يقف عندها المؤرخون ولم تكشف عنها الجوانب التي عرفت لحياة الشاعر ، او وقفت عند شعره ، ولابد ان تكون هذه الاسباب لصيقة بالطبيعة النفسية والتكوين البيئي للشاعر ، والاتجاه الذي حاول ان يسلكه وهو يرى ابن الاشعث قد شق عصا الطاعة .

(١) ابو الفرج . الاغاني ٢٩١/١١ .
(٢) نفس المصدر ٢٩١/١١ .

وتنكر للدولة وتحول من قتال المشركين الى قتال المسلمين وهي حالة كان كثير من الناس يؤمنون بها فعندما اجتمع القراء الذين في عسكر ابن الاشعث الى الحسن بن يسار البصري ، والحسن يومئذ (بالمفتح) فقالوا له : يا ابا سعيد هات ما عندك وتكلم بما ترى فقال الحسن : اني ارى انها فتنة صمّاء ، وذلك انكم لم تختلفوا في رب ولا نبي ولا كتاب ولا قبلة ، فرحم الله عبدا اتقى ربه ، ونظر ليوم معاده(٣) ، ولكن الحسن البصري اتهم بالمراءاة والمداهنة من قبل اولئك الذين كانوا يجدون في الحرب وسيلة لتمزيق وحدة الامة ، وفي اقتتال المؤمنين غاية من الغايات التي يرمون اليها ..

ويذهب الطبري الى تحديد اسباب الخلاف انى ان الحجاج كتب الى عبدالرحمن جواب كتاب ذكر فيه ان عبدالرحمن يحب الهدنة ، ويستريح الى الموادعة بعد ان صانع عدوا ذليلا وقليلا ، وقد اصاب من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا، وغناؤهم في الاسلام عظيما ، ويبدو ان عبدالرحمن بن الاشعث قد بعث برسالة الى الحجاج عرض فيها رايه بشأن الحرب ، وكان رد الحجاج على رسالته صريحا فاتهمه بالضعف والتردد ، وامره بالمضي والوغول في ارض فارس ثم طلب منه التخلي اذا رفض هذا الراي ... وقد وجد عبدالرحمن

(٣) ابن اعثم الكوفي . الفتوح ١٤٦/٧ .

بن الأشعث في هذه الرسالة انهاء لولايته فدعا الناس اليه ونقل اليهم رسالة الحجاج بعد ان قال لهم بان الحجاج امره بتعجيل الوغول بهم في ارض العدو وهي البلاد التي هلك اخوانكم بها بالامس ؛ ثم قال : وانما انا رجل منكم امض اذا مضيتم ؛ وابى اذا ابيتم فشار اليه الناس ..(٤) ، وقد استطاع ووفق هذه الصيغة من التخاطب ان يحول اتجاه المسلمين في هذه الاصقاع الى الوجهة التي ارادها ، كما استطاع ان يحول جمعهم بعد ان ادرك ما يعتمل في اعماقهم الى انواي الذي ارتاه، وفي التصور الذي قدمه الى الحجاج في رسالته وهي محاولة كانت تستمد اصولها من الاحساس العام الذي مهد له عبدالرحمن بن الاشعث وساعدت على ترسيخه في نفوس المقاتلين عناصره الموزعة في صفوف المسلمين ... ولا يمكن ان ننسى ونحن في هذا المجال ــ الجذور العميقة لهذا التوجه الذي وجد في رسالة الحجاج سببا مباشرا لاتخاذ الموقف وتعبئة اعداد كبيرة من المقاتلين تعبئة مغايرة لخطط الفتح ، بعد ان تمكن من استثارة كوامن ؛ وبعث مدافن أوشكت ان تتبدد في زحمة الشعور الديني الواحد ؛ والسير تحت راية التحرير ، والاحساس بوحدة المصير ؛ وربما وجد عبدالرحمن بن الاشعث في بيئة الشام والعراق موجدة حادة لالهاب الضفائن وشق وحدة الامة ، وتوريث الاحقاد ؛ وكان الناس يعتقدون ان الفتنة لم تكن موجهة الى الحجاج وانما المقصود بها الخلافة والدولة والنظام ، وهذا ما كان يدور في اذهانهم ويروي الطبري جزء من الحوار الذي كان يدور بين الناس عندما دخلوا فارس وقالوا : انا اذا خلفنا الحجاج عامل عبدالملك فقد خلصنا عبدالملك(٥) . ويبقى هذا الصوت عاليا في الرسائل الاولى التي ارسلها الحجاج الى عبدالرحمن وهو بسجستان فقد جاء في بعضها .

اما بعد ، فانك وضعت رجلك يا بن محمد في غرز طويل الغي على امة محمد صلى الله عليه وسلم ، الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكثها ، فان قلت اخاف الناس على نفسي فالله احق ان تخافه عليها من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك دم ، ولا استحلال محرم والسلام عليك .(٦) ، ولكن التصميم على تنفيذ الخطة ، والوقوف بوجه الدولة ، والاصرار على تمزيق وحدة الامة والخروج على الجماعة ، واستحلال سفك الدماء وتجاوز المحرمات كان يختفي وراء هذه الحركة التي عاش المسلمون محنتها ، وهم يتحولون بسيوفهم من مواجهة الشرك الى محاربة المسلمين ، ومن تحرير الانسان، الى الاحكام الشرعية وتتضح نوايا ابن الاشعث عندما وقف خطيبا في اصحابه في البصرة حيث قال : اما الحجاج فليس بشيء ولكنا نريد غزو عبدالملك(٧) ، وتتضح وجوه الحقد الشخصي على الحجاج في اشارة الطبري بعد ان اجتمع اهل الكوفة واهل البصرة واهل الثغور والمسالح فيقول : ان الذي جمعهم عليه بغضهم والكراهية له ..(٨) وهو جانب شخصي بحت لا تنطوي تحته اية مصلحة للمسلمين ، ولا تحركه اية دوافع تتعلق بدواعي التحرير الذي حملته قوافل المجاهدين ، واضطلعت بمسؤوليتها قلوب المؤمنين والمقاتلين .

وابو جلدة الشاعر الكوفي يقع ضمن الدائرة التي دفع منها ابن الاشعث واعشى همدان وكل الذين دفعتهم اسباب شخصية الى اتخاذ هذه المواقف المناهضة .

ومن الطبيعي ان تكون نهايته هي النهاية المعروفة التي انتهى اليها كل الذين حشروا في الزاوية المعتمة من التاريخ وارادوا ان يمزقوا وحدة الامة ، وتظل اصداء تراجمهم وحميتهم ماثلة امامهم عند كل محاولة وفي كل تجربة وسلوكه الفردي يوحي بهذا القلق الذي لازم الشاعر وهو يتعامل مع اقرب المقربين اليه فهو على صلة بالقعقاع بن سويد المنقري ولكنه يختلف معه(٩) ، وعندما ولي مسمع بن مالك سجستان تلقاه ومدحه بقصيدة(١٠) ، وينتقي ابو جلدة بالقعقاع بن سويد فيستعمله حين تولى سجستان على بست والرخج ... ولكن عدم استقراره وقلقه وسلوكه . الخارجي اثار عليه حفيظة القعقاع فكتب اليه يهدده ، فكتب اليه ابو جلدة قصيدة يسخر فيها منه ، ويدعي لنفسه ادعاءات عريضة وفق طريقة الفخر التي

(٤) الطبري . تاريخ الطبري ٦/٣٢٥ .
(٥) الطبري . تاريخ الطبري ٦/٣٢٨ .
(٦) الطبري . تاريخ الطبري ٦/٣٢٨ .
(٧) الطبري . تاريخ الطبري ٦/٣٣١ .
(٨) الطبري . تاريخ الطبري ٦/٣٤٧ .
(٩) ابو الفرج . الاغاني ١١/٢٩٢ .
(١٠) ابو الفرج . الاغاني ١١/٢٩٤ .

تفضي بالشاعر الى استلاب كل الخصال الحميدة من خصمه وتنزع عنه اسباب الحياة الكريمة فوجود قومه كمصابيح الدجى او لامعة كالدنانير الهرقلية، والسعود يجري كما تجرى السانحات له ؛ والنحس يجري مع الطير البوارح لخصومه ، وتنقلب صورة القمقاع في قصيدته الى صورة الفناء والموت والنهاية والضعف والاستهانة ويصبح عمال قبيلته اوفى وخير بقية ويتحول عمال قبيلة القمقاع الى اهل خيانة ولبس، ومع كل هذا السباب والشتم ، تجد القمقاع يوجه رسولا الى الشاعر ليستطلع الوقت الذي كتب فيه الرسالة لانه يعلم بان الشاعر صاحب شراب ، وربما سولت له نفسه ان يقول هذا القول في حالة انتشاء ويصدق حدس القمقاع ورسوله يستمع الى قسم الشاعر وهو يحلف على كتابه بالعشي ، ويسأله البينة على ذلك فيقدم اقواما يشهدون له بما قال فيتركه وشأنه(١١) .

ويبدو ان نزعة التمرد كانت صفة من صفات الشاعر وحالة من حالاته التي لازمته وهو يتنقل عبر حياة غير هادئة ؛ ويقف مواقف غير مستديمة فهو في خصومة مستمرة مع الولاة ، ومجابهة صارمة ، ومع قدرته الفردية على مثل هذه المواقف فانه كان يجد في قومه عونا له لصد بعض ما ينشال عليه ؛ وعندما يجد قومه عاجزين عن تلبية ندائه ، وغير قادرين على معاونته رهبة من السلطان يتجاوز في ندائه ، ويرفع صوته الى من هو اعلى لايقاف ما يعتقده ظلما ، ورد ما اصابه من تجاوز ...

ولما ان رايت سراة قومي
سكوتا لا يثوب لهم زعيم
هتفت بمسمع وصدى امير
وقبر معمر تلك القروم

وهو في ندائه يستجير بمسمع بن مالك (امير فسا) وامير بن احمر من بني بشكر وكان سيدا جواداً ومعمر بن شمير بن عامر وكان امير سجستان وكان سيداً شريفاً ، وهو في كل استغاثة من هذه الاستغاثات يوثب الامير ، ويثير في نفسه نوازع النخوة ، وتحمل الناس على معاونته لتحقيق ما يريد واسعاف طلبه بما يعيد اليه حقه ؛ وقد علمنا ان ابا جلدة قد احسن في التوثيب

(١١) ابو الفرج . الاغاني ٢٩٨/١١ ـ ٢٩٩ وننظر القصيدة (السينية) .

واجاد اختيار المعاني التي يستطيع بواسطتها أن يدفع الناس الى الاشفاق عليه والعطف على مطالبه والدفاع عن قضاياه ومثل ما كانت حياته الفردية حياة تمرد واهتزاز فقد كانت حياته العائلية حياة تمزق وبعثرة؛ بسبب تصعلكه وانفاقه امواله في الخمر ، وفقدانه مسؤوليته الاجتماعية، ومن الطبيعي ان يترك هذا السلوك الاجتماعي بصماته على طبيعة علاقته بالناس ونفورهم منه ولعل هذا السلوك هو الذي دفع (خليمة) الى رفضه لما عرف عنه من تهتك ، وشهر به من تصعلك ، ولكن هذا النفور الاجتماعي كان يعلله الشاعر باسباب مختلفة ، فانفاقه بالتكرم وتحمل الاثقال وسمعته تشهد له بها المواقف وهو يصطاد الابطال ويكره نزاله الكماة (القصيدة اللامية) وله مع زياد الاعجم مهاجاة معروفة ، ومن الغريب ان يشتبك زياد الاعاجم مع اعداد غفيرة من الشعراء في مهاجاة قد تكون اسبابها سياسية ، ومحاولا من خلالها ان ياخذ موقعه او يرد اعتباره ، او يثبت اقدامه في مجتمع احتدم فيه الصراع بين العرب وغيرهم من الاقوام التي ارادت أن تنال منهم ، تتميد مجدها الزائل ، واعتبارها الذاهب ، وكذلك كانت له مهاجاة مع الحصين بن المنذر (٤ ؛ ٢١) ، وله مناقضات مع قتادة بن معرب التزم بها صور المناقضات التي عرفها الشعراء في عصره وهي لا تخرج عن اطارها من حيث المساجلة وتفنيد الحجج ورد الاتهامات وتسفيه الادلة ، والاستدلال المنطقي ، اما الشكل الفني فهو التزام بالصورة التي يلتزم بها الشاعر من حيث الوزن والقافية وهو في هذين الاطارين يتداخل مع بقية الشعراء في هذا الباب وان لم يكن من هذا الضرب الشعري ، وربما كانت مهاجاته المتنوعة ، وكثرة الشعراء ، او الناس الذين هجاهم توحي باهتزاز العلاقة القائمة بينه وبين الناس ، وبانفراده بخصائص سلوكية معينة تبعده عن الطريق الطبيعي لحياة الاخرين ؛ وهي من الدلائل التي دفعته الى سلوك مسالك مهلكة اودت به الى النهاية المفجعة التي انتهى اليها والشاعر يعبر في بعض مواقفه وهو في حالات الاهتزاز والتردد عن خيبة امله وقد تراءى له ضعف قومه فينحى عليهم باللائمة لتركهم الدين والدنيا وبعدهم عن الالتزام بما يجب الحفاظ عليه ، وهي حالة توحي بالاحباط الذي كان يعانيه هذا الشاعر والقلق النفسي الذي يتحكم بذاته ، وهي اشارة تدل على الحالة التي كان عليها وهو يواجه المصير المحتوم ، وينتظر

اللحظات الحاسمة ، ويعاني الضيق المستحكم بجوارحه واحساساته .

ان طموحه غير المشروع في الزعامة ، وتعلقه باهداب القيادة التي لم يكن مؤهلا لها قد حمله على الاندفاع ، وراء كل حركة معارضة او اتجاه مضاد لعله يجد فيه متنفسا لهذه التطلعات . وكانت صور الزعامة التي ينشدها تتجاوب في نفسه اصداء متلاحقة ، وحالات القيادة التي كان يتصور انها غير قائمة ممهدا لتصوره ان يحقق هذا الوجود الواهي والضائع . وقد عكست بعض ابياته هذه الحالة ففي رثائه لمسمع بن مالك قال :

يا مسمعا لعراق لا زعيم لهـا
بمن ترى يؤمن المستشرف النطف

وهي احساس بان العراق بحاجة الى زعيم وان الاوضاع مهيأة لمثل الانتفاضة التي وجد في حركة ابن الاشعث بداية لها او صورة من صورها ..

وبقيت هتافاته الذاتية تتوهج وهي تحاول التعبير عن الجانب النفسي الذي ظل غير قادر عن التعبير الا من خلال الاخرين او في استشارة من يعتقد بانه قادر على تحريك هذه العواطف ، عند من يتطلع لمثل تطلعه ويفكر في محور تفكيره . وكانت هذه الصيحات الخافتة تخفت في حدود المواقع التي لا تستطيع رد الصدى .. وهنا كانت الصرخة هتافا ، والصيحة يأسا لا يملك لنفسه انتظارا فقال :

ولما ان رايت سراة قومي
سكوتا لا ينوب لهم زعيم
هتفت بمسمع وصدى امير
وقبر معمر تلك القـــردم

وفي هذين النصين تبرز (لفظة) « زعيم » وهي توحي بكل الهواجس الصامتة من جهة والملتهبة من جهة اخرى في دواخله المتأججة لتكون واضحة التعبير والتفسير عن تصرفه الذي حمله على وضع نفسه في حركة ابن الاشعث التي كانت تصب في المجرى نفسه وتقع في الزاوية غير المنظورة من الاحداث الملتهبة في عصره .

والتوثب في الشعر دواع ، وللاستثارة عناصر ، توجهها حالات المواجهة وتستدعيها ظروف الاحتدام ، ويتحكم فيها الاحساس النفسي ويتحول الى طاقة متحركة ، وتستجيب لها مشاعر التواصل فتتوجه نحو الوجهة المطلوبة بعد أن تتحفز نوازع الاستجابة وتنهيىء فرص الاستثارة ، وتنشط اسباب الاحساس باهمية الحدث وبقدر ما تكون الاستثارة متوافقة من حيث اختيار الجوانب العاطفية او التوجه الى مخاطبة الدواعي المثيرة عند الانسان ، تكون الاستجابة الحاصلة اقوى واشد ، ويكون رد الفعل امضى وامد ، لان اسلوب المخاطبة وانتقاء الالفاظ ودراسة الوضع النفسي وقدرة التحكم في طريقة المعالجة تؤدي دورها المثير في التحكم بقدرة التوجيه ، وانتزاع الاحساس المناسب ، وتحشيد القوى الكامنة في النفوس ووضعها في المسار المطلوب ، وتوظيفها في مجال الحدث المقرر ، والانسان الذي عرف اساليب الحياة ، وخبر وطأة الظروف ، واستجاب لنوازع الفاضلة في كثير من الحالات ، ووقف على القيم الاساسية التي تحدد موقعه في كل المجتمعات او كان على بصيرة تامة بهذا المسار الطويل الذي قدم له حصيلة غنية من التجارب ، واغناه باسباب كثيرة من اسباب التحرك . والعرب الذين ساهموا مثل بقية الامم في التكوين الحضاري وقدموا عبر مراحلهم التاريخية الطويلة ثمرات ناضجة لرحلة الانسان وشاركوا في بناء اقدم الحضارات عراقة واصولا ، استوعبوا دورهم التاريخي والانساني ، ولمسوا وهم يخوضون غمار الحياة الوانا من المواجهة واشكالا من التحدي ، وقد اهلتهم هذه التجربة الطويلة الى ان يعرفوا نوازع الانسان الحية ، ويدركوا مقدار الاستجابة لكل قيمة من قيمه ، ويستنبطوا دواخله التي لا يمكن ان تنفصل عن اي تكوين من تكويناته واذا كان احتدام الصراع ظاهرة شهدها هذا الانسان فان الاسباب التي تكمن في داخله كانت خاضعة وباي شكل من الاشكال لصور هذا الاحتدام ، بعد ان تمكنت موضوعاتها في نفسه وتحركت دواعيها في سلوكه ، ولما كان الشعر وجها من وجوه التعبير ، وحالة من حالات الاستجابة فقد استطاع هذا الانسان ان يوفق في استخدامه لما يراه مناسبا ، ولما يتحقق في ذاته من احتدامات .

والتوثيب في الشعر العربي حالة حية ، احسن استخدامها الشعراء العرب ، واستطاعوا الوصول الى تهيئة الاجواء المناسبة عندما يجدون انفسهم بحاجة الى توحد ، ويشعرون بالخطر يهددهم وبالاعتداء يقع عليهم ، وكانت المرثيات من القصائد مصاحبة لكثير من الاحداث ، ومواكبة لاهتزاز المشاعر القومية وقد وجدت فيها النساء الهابا

حماسيا لدواخل الرجال واستثارة واعية لعزائمهم وخاصة في حالات المواجهة وعند احتدام المعارك .

واخذت مساحتها الواسعة في ميدان الشعر، بعد ان وجدت الحماسة طريقها الى كل نفس ، وتحققت في كل ذات ، واستقطبت اغراضا لها صلتها في الاحجام الوجدانية الواعية ، وابو جلدة واحد من اولئك الشعراء الذين واصلوا حالة التوثيب وشاركوا في مجالات المناهضة حتى وصف باشد المحرضين لاساليبه التي استخدمها وطرائقه التي استثار بها . وكانت ابياته مثارا لاستنهاض الهمم ، وايذانا باوان الشد ، وانذارا لبداية الحملة لما تحدثه في النفوس من انفة ، وتبعثه من اباء ، وتوقظه من احاسيس الاعتزاز (الحائية) .

وبقدر ما كان التوثيب حالة للاستثارة ، ومدعاة للتحفز فانه كان ينطلق من ايمان الوثبين بتفاهة الحياة بعد ان يذل الانسان ، وبضآلة التعايش في حالة التراجع والتخاذل والانكسار ، وعندها تفقد الحياة طعمها ، وتموت في دواخل الانسان اسباب التطلع وتتيه في حشرجات اليأس بوارق المواجهة والتحدي وفي كل لون من الوان التوثيب ترتفع صيحات الاستهجان ، وتتوالى صور التعبير التي كانت تجد النساء فيها مساحة كبيرة لانهن البدايات المتحركة في إطار الحماية ، والبداية المطلوبة في استثمار الرعاية وعلى السنتهن تتوارد دلالات الالفاظ التي تشد المقاتلين الى الثبات وفي الصور التي يقدمنها تتحكم ارادة المخاطبة والتهكم ...

وبقي صوت الشاعر في التوثيب ، واستثارته في التحريض متميزا وصوتا مرتفعا دفع الحجاج الى ان يقول يوما لجلسائه ، ما حرض على احد كما حرض ابو جلدة(١٢) .

فنون شعره

وابو جلدة يسير في الدروب المسلوكة التي عمق الشعراء اثارها ؛ ففي مديحه يذهب مذهبهم في (حبل سعاد المنقطع) وتمنى وصلها بعد ان شطت بها غربة بعيدة ، ولوم العاذلة ، ليتخذ من هذه المعاني جسرا للحديث عن تليد فخره ، وكرمه الذي لم يزده الدهر الا بغضا ، وصلابته التي لم تزدد الا شدة وقوة وهو مديح للنفس قبل ان يكون مديحا للاخرين ، وهو حالة من حالات التعبير عن النوازع ، وصورة من صور التفاخر الذاتي في شواهد الغير ، ويبرز هذا الجانب في تخصص مديحه بذوي الاحساب الذين لم يجعل الله في اقوالهم فحشا من الكلام ولا قبحا من الافعال ، الطيبين على العلات ؛ فمسمع بن مالك نال من مديحه جانبا كما حظى برثائه الذي وقف فيه عند معاني الرثاء المعروفة وصياغاته التابينية والمحصورة بالتشبيهات المألوفة ، وما كان يوصف به المرثي ، واذا كان الشاعر قد استفرغ اماديحه في مسمع بن مالك فان اسباب التواصل ودوام الالفة وتيسير سبل الحياة بما يقدمه الممدوح للشاعر كانت عوامل دافعة ومحفزات اساسية في هذه الاماديح التي دفعت الشاعر الى القول :

كل الخلال التي يسعى الكرام لها
ان يمدحوك بها يوما فقد صدقوا

لكن هذا المديح يتحول الى هجاء ولده مقاتل الذي ظن الشاعر به خيرا ، وتوقع حسنا ، ولكن الابن لم يحفظ احدوثة الوالد ، ولم يبق ذكرا للفضائل التي عرف بها فكان موضع هجاء مر من الشاعر وموطن استهجان ، ولم يكن هجاؤه منصبا على شخصه ولكن كان موجها لاستلاب الخصائص الكريمة ، ونزع الخصل الحميدة التي تضع الانسان في موضع التكريم والتعظيم .

وابو جلدة يجد في مطلع مديحه لسليمان بن عمرو بن مرثد البكري نافذة للدخول من خلالها الى الحديث عن هذا الممدوح الذي عرف بفروسيته وشجاعته وصولا الى الحديث عن الخمرة التي يشربها صهباء طيبة النشر . ثم يستمر في اوصافها ونعوتها فهي معتقة كالمسك ، تترك حاسي الكأس مرنحا . وفي هذه اللوحة تظهر براعة الشاعر في اوصافه التي يمكن اعتبارها امتداد لاتجاه الاعشى وجسرا لايصال الاوصاف الى ابي نواس ، والصور

(١٢) ابو الفرج . الاغاني ٢٩٢/١١ ، دار الثقافة ، .

التي يقدمها الشاعر تتجه في اغلبها الى الوجهة التقليدية التي لمسناها بوضوح في خمريات الاعشى ولكن الجدة في بعض ملامحها توحي باستحضار صور جديدة استمدها الشاعر من المعاصرين الذين احسنوا هذه الصنعة وقدموا محاولة جديدة في بعض مفرداتها ولكن الذي يبدو من روح القصيدة ان الشاعر حاول من خلال هذه اللوحة ان يتحدث عن كرم الممدوح ووجد في حديث الخمرة مجالا له لانه يذكر في البيت الثالث :

كريما على علاته يبذل الندى
ويشربها صهباء طيبة النشر

وفي البيت السابع يقول :

فتلك اذا نادمت من ال مرثد
عليها نديما ظل يهرف بالشعر

وهما اشارتان من الاشارات التي حددها الشاعر لاسباب هذا الحديث عن الخمرة ولما حمله على ان يقدم هذه الصور التي تظهر افتقارها الى معان اخرى يمكن ان تدخل في اطار الخمريات المعروفة ، فهي مقدمة او توطئة استمار لها ما احسن قوله من شعر في باب المنادمة لينحدر منه الى حديث الكرم المقترن بمثل هذا الحديث في القصيدة التقليدية .

اما خمرياته فهي قصائد متميزة وقف فيها الشاعر عند المعاني التي عرفها اصحاب مجالس الشرب ، وتداولها الشعراء ، في قصائدهم ابتداء من الاعشى ، وقد اباح له وجوده في بست وتستر والرفج وسجستان الحرية في الخروج عن الحياة المألوفة ، كما اباح له انغماسه في حياة المجون في تلك البلاد مجال التعبير عن نوازعه الشهوانية الحادة . واوشكت ان تكون قصائده وجها من وجوه العبث والتهتك بعد اختلطت حياته بحياة الدهقانات التي كان يختلف اليهن ويقضي عندهن الاوقات الطويلة ، وقد نعت الخمرة في اوصافه لها بما وصفت به من اوصافه وعرفت به من الوان صافية كعين الديك ، معتقة كالمسك تترك حاسيها طريحا لفرط نشوته ، حبابها ينزو اذا مزجت بالماء مثل لظى الخمر ، صهباء طيبة النشر ، ومثل ما كانت وقفته طويلة عند الخمرة فقد كانت وقفته طويلة عند الدهقانات التي اضفى عليهن من الصفات التقليدية ما جعلها موضع اهتمام الاخرين / ٣٠٥ – ٣٠٦ ، كما كانت له اداباه الخاصة في مجالس الشرب ، وكان حريصا على الالتزام بها والوفاء باصولها والحرص على الاخذ بها (٣٠٩) .

وتتعالى في اعماقه حالات العزوفة عن الدنيا عندما تشتد عليه نوازع العودة الى الحياة الانسانية ، والاقلاع عن المباذل ، والانصراف عن حياة التهتك ، وصحوة القلب هذه بعد الغي وجه من وجوه شعر الزهد ، وتبرير من مبررات الناس الذين تضيق بهم سبل الحياة ، وتقفل في وجوههم مسالك التفكير الجدي فيجدون في الصحوة ملاذا ، وفي الابتعاد عن الغي دربا عريضا من دروب المغفرة والتوبة والصلاح ، وقد عودنا الشعراء على مثل هذه الحالات عندما تحيق بهم استار الخطيئة ، ويضيق عليهم حبل النجاة ، وتتجلى لهم صور الموت والعذاب ، وهنا كان الاقلاع عن الصبوة ، والعودة الى المغفرة والتزهد ودعوة الله للعفو هي الاصوات البارزة في جوانب الحياة الضائعة وابو جلدة يضع لنا صورة لهذا الطريق المتطول الذي اهتدى اليه بعد غي طويل وبعد ان تمادى في المباذل وانغمس في المجون (٥ ، ٦ ، ٣١٠) .

وفي حياته مجموعة من الرجال الذين ذكرهم في شعره مدحا او رثاء فسليمان بن عمرو بن مرثد كان صديقا له وهو من الفرسان الشجعان / ٣٠٢ وكان الشاعر يحسن مديحهم ويبدو ان مصاحبته لهم كانت مصاحبة مجالس ومنادمة منهم في بعض قصائدهم يشربونها صهباء طيبة النشر ، معتقة كالمسك ، تدعو المرء للجود بالوفر .

ومن الغريب ان يمدح الشاعر اصحابه باماديح الندامى وان لم يكونوا من معتادي شرب الخمر وكأنه كان يجد في الخمرة بابا من ابواب المديح فشرب الصهباء وايثارها كانت من صفاته هو ، وليست من صفات بعض ممدوحيه الذين نعتهم بها حتى عدها هذا البعض هجاء ولكن معرفتهم بالشاعر كانت عذرا له وسببا من اسباب صفحهم عنه .

والشاعر لا تنتهي حدود قصائده عند معاني الاغراض التي يتناولها او الفنون التي يعرض اليها، وانما هو شاعر حضري يتعامل وفق المعطيات الجديدة التي يقع عليها نظره . وفي ظل الصور الجديدة التي بدات تأخذ حجما في صوره والفاظه وتشبيهاته ، فوجوه المقاتلين وقد علاهم السعود (هرقلية ملس) والهرقلية ضرب من نقود الروم ؛ والفتاة التي اطلت عليه من احد قصور بست مولعة بالخلوق وهو يفوح بالرند وقد ارتدت الخز والمطارف والقز وعصب اليماني القشيب .

ان نفس الشاعر يتحدد في ظاهرة المقطعات الشعرية التي غلبت على قصائده وهي ظاهرة بدا المصر يشهد لها حضورا عند مجموعة كبيرة من الشعراء ؛ وربما تدخل هذه الظاهرة في طبيعة حياة الشاعر التي كانت تفرض عليه التناول السريع والتخلص الخاطف وانتقبير الموجز الذي يحقق له الغرض المقبول وهو اسماع الاخرين ما يريد ان يقول او جعل شعره سائرا على السنة الناس ليحفظوه وهو في الحانين قد حقق الغاية ؛ وربما كانت الاغراض التي عالجها حاجزا بينه وبين الاطالة فدفعته الى الاختزال والاختصار لانه في موقف لا يوجب عليه الخروج عن دائرة الغرض وان المقطعات القصيرة ادخل في المسامع واجول في المحافل وبقدر ما كانت وافية فانها اكثر استساغة .

ان حياة الشاعر وهو يطرق هذه الابواب ، ويقدم النماذج الشعرية يمثل توجها سائدا من توجهات الشعر في عصره ، وعلى الرغم من انه شارك مع عبدالرحمن الاشعث الا اننا لم نجد له شعرا يفصل احداثها او يروي اخبارها او يصور مبادئها وافكارها كما صنع اعشى همدان او غيره ممن وضعوا انفسهم في خدمة هذا التمرد ، وانزلقوا تحت وطأة الوعود الزائفة والمصالح الضيقة واذا كانت الاغراض الشعرية التي طرقها الشاعر اغراضا معروفة فان طبيعة حياة الشاعر قد لونتها بالوانه الخاصة التي حاول ان يمكسها على مفرداته ... وابو جلدة الذي حمل نفسه مع مواكب الفاتحين وخبر حياة الديار الجديدة التي وطأتها اقدام المسلمين انصرف الى حياة اللهو والعبث ، واستطاب حياة الترف والمجون ، فاضطربت حياته، وضاعت حقيقته ، وقد غمرته لذات الدنيا ، ووقفت به اسباب الانقطاع الى حانات الخمارين عن الاهداف التي تحققت بايمان المجاهدين وصدق المؤمنين ، ووفاء الرجال الذين عاهدوا الله عليه .

وابو جلدة الذي امتدت به الحياة فشارك في الخروج مع ابن الاشعث سنة ٨١ للهجرة وقبلها اتصل بمسمع بن مالك الذي عين على (فسا) و (درابجرد) سنة اثنتين وسبعين[١٣] وفي سنة ثلاث وثمانين وبعد هزيمة ابن الاشعث كان مسمع حاضرا[١٤] ، وفي سنة خمس وثمانين قتل عبدالرحمن بن الاشعث وقبل سنة اربع وثمانين[١٥] وفيها كانت نهاية الشاعر الذي كانت اوليات حياته غير معروفة ... وطويت صفحته بعد ان ترك تراثا شعريا احتفظ به كتاب الاغاني وذكر بعض قصائده ابن الشجري في حماسته ، والطبري في تاريخه ؛ ولم تحفل باخباره او اشعاره كتب الادب الاخرى .

---

(١٣) الطبري . تاريخ الملوك والرسل ٦/١٦٩ .
(١٤) الطبري . تاريخ الملوك والرسل ٦/٣٨٢ .
(١٥) الطبري . تاريخ الملوك والرسل ٦/٣٩٢ .

[١]

قال ابن حبيب :

ومر ابو جلدة بقصر من قصور بست ينزله رجل من الدهاقين : فراى ابنته تشرف من اعلى القصر فانشا يقول:

[من الخفيف]

١ ــ إنّ في القصر ذي الخبا بدرَ تمٍّ ... حسنَ الدلِّ للفؤاد مصيبا

٢ ــ ولَعاً بالخلوقِ يأرَجُ منه ... ريحُ رَنْدٍ اذا استقلَّ منيبا

٣ ــ يلبسُ الخزَّ والمطارِف والقزَّ ... وعَصْباً من اليماني قشيبا

٤ ــ ورأيتُ الحبيبَ يُبرز كَفّاً ... ما رآه المحبُّ إلا خَضيبا

الابيات [١ ــ ٤] في الاغاني ١١/٢٩٩ .

[٢]

قال ابو جلدة : من الطويل

١ ــ أبا خالدٍ رُكني ومن أنا عبدُه ... لقد غالني الأعداءُ عمداً لتغضبا

٢ ــ فإن كنتُ قلت الكَلْذَ اتاك به العِدا ... فشلّت يدي اليسنى وأصبحت أعضَبا

٣ ــ ولا زِلتُ محمولاً عليَّ بَليَّةً ... وأمسيتُ شِلواً للسِّباع مُتَرَّبا

٤ ــ فلا تَسمعَنْ قولَ العِدا وتَبيَّنَنْ ... أبا خالدٍ عُذراً وإنْ كنتَ مُغضِبا

الابيات [١ ــ ٤] في الاغاني ١١/٣٠٧ .

[٣]

قال ابو جلدة في يوم الزاوية(١) حين خرج بين الصفين: [من الطويل]

١ ــ لَعَمري لأهلُ الشام أطعنُ بالقَنَا ... وأحمَى لما تُخْشَى عليه الفَضَائحُ

٢ ــ هم المُقْدِمونَ الخيلَ تَدْمى نُحورُها
إذا ابيضَّ من هَوْلِ اللقاء المسائح(٢)

٣ ــ فرَرْنا عِجالاً عن بنينا وأهْلِنا ... وأزواجنا إذْ عارضتنا الصفائح

٤ ــ جَبُنّا وما مِنْ مَورد الموت مَهرب ... ألا قَبُحَتْ تلك النفوس الشحائح

---

(١) الزاوية : موضع قرب البصرة كانت بها الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبدالرحمن بن محمد بن الاشعث سنة ثلاث وثمانين .

(٢) المسائح : جمع مسيحة وهي الشعر المدلى خلف الظهر .

٥ ــ تركناهمُ صَحْنَ العراقِ وناقلت ... بِنا الأعوجيّاتُ الطِّوالُ الشرامحُ[٣]

٦ ــ فقل للحَواريّات يبكينَ غيرنا ... ولا تبكنا إلاّ الكِلابَ النوابحُ[٤]

٧ ــ بكينَ إلينا خَشيةً أنْ تُبيحَها ... رماحُ النصارى والسيوفُ الجوارحُ

٨ ــ بكين لكيما يمنعوهُنَّ منهمُ ... وتأبى قلوبٌ أضمرتها الجوانِحُ

٩ ــ وناديتنا : أين الفرارُ وكُنتُم ... تغارون أن تبدو البُرى والوشائحُ[٥]

١٠ــ أأسلمتمونا للعِدى على القَنَا ... إذا انتُزعت منها القرونُ النواطحُ

١١ــ فما غار منكم غائرٌ لحليلةٍ ... ولا غُرِّبٌ عَزّت عليه المناكح

---

(٣) الشرامح : جمع شرمحي : القوي الشديد .

(٤) الحواريات من النساء : النقيات الالوان والجلود لبياضهن .

(٥) البرى : جمع برة وهي الخلخال والوشاح : ما تشد به المرأة بين عاتقها وكشحها .

التخريج :

الابيات [١ـ٦] في حماسة ابن الشجري ــ ٢٤٢ والابيات [٦ ــ ١١] في الاغاني ٢٦٢/١١ .

والابيات [١ ، ٥ ، ٦] في الوحشيات ــ ٢٩ وفي روايتها اختلاف .

والابيات ١ ، ٥ ، ٦ وبيت آخر هو :

نفينا عتاة الشام عن عقر دارنا ... فلا خبرنا مصر ولا البيع رابح

في كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي ١٤٣/٧ ــ ١٤٤ منسوبة الى بكير بن هارون وفي رواية الابيات اختلاف .

والبيتان السادس والسابع في اللسان [حور] ورواية السابع .. خيلة ان نبيحها .

[٤]

وقال ابو جلدة في حضين : [من الطويل]

١ ــ لعمرُكَ إني يومَ أُسندُ حاجتي ... إليك أبا ساسانَ غيرُ مُسَدَّد

٢ ــ فلا عالمٌ بالغيب من أينَ ضَرَّهُ ... ولا خائفٌ بثَّ الاحاديث في غَدِ

٣ ــ فليتَ المنايا حَلَّقتْ بي صُروفُها ... فلم أطلبِ المعروف عِندَ المُصَرَّدِ

٤ ــ فلو كنتَ حُرّاً يا حُضينُ بنَ مُنذرٍ ... لقُمتَ بحاجاتي ولم تتبلَّدِ

٥ ــ تجهمتني خوفَ القِرى واطّرحتني ... وكنتَ قصيرَ الباعِ غير المُقَلَّد

٦ ــ ولم تَعدُ ما قد كنتَ أهلاً لمثلِهِ ... من اللؤم يا بنَ المُستدَلَّ المُعَبَّد

الابيات [١ ــ ٦] في الاغاني ٣٠٤/١١ .

[٥]

قال ابن حبيب : كان سليمان بن عمرو بن مرند البكري صديقا لابي جلدة ، وكان فارسا شجاعا ، وقتله ابن خازم لشيء بلغه فانكره وفيه يقول ابو جلدة : [من الطويل]

١ ــ إذا كنتَ مُرتاداً نديماً مُكرَّماً ... نساهُ سَراة من سراة بني بكرِ

٢ ــ فلا تَعْــد ذا العليــا ســليمانَ عامداً ... تجــد ماجداً بالجود منشــرح الصدرِ
٣ ــ كريماً علــى عــلاّته يبــذل الندّى ... ويشــربُها صهبــاءَ طيبــةَ النشــرِ
٤ ــ مُعتّقــةً كالمســكِ يُذهب ريحهــا ... الزّكام وتدعو المــرءَ للجود بالوَفــرِ
٥ ــ وتتركُ حاســي الكأس منها مُرنّحــاً ... يميــد كما مادَ الاثيــمُ من السّــكر
٦ ــ تلوح كعــينِ الديك ينزو حَبابُهــا ... اِذا مُزِجتْ بالماءِ مثــلَ لظى الجمر
٧ ــ فتلكَ اِذا نادمتُ مــن آل مَرثــدٍ ... عليهــا ندَيمــاً ظَلّ يهــرف بالشــعر
٨ ــ يُغيّبــك ثاراتٍ وطــوراً يكُــرّها ... عليــك يحيّــاك الألــهُ ولا يــدري
٩ ــ تَعــوّدَ ألاّ يجهــلَ الدهرَ عندِها ... وأن يبذُل المعروفَ في العُسر واليُسر
١٠ــ وإنّ ســليمانَ بنَ عمرو بن مَرثَدٍ ... تأَلى يمينــاً أن يَريــش ولا يَبــري
١١ــ فهمّتــهُ بذلُ الندى وابتنا العُــلا ... وضربُ طُلَىً الأبطال في الحرب بالبُتر
١٢ــ وفي الأمن لا ينفكّ يحســو مُدامةً ... اِذا ما دجا ليــلٌ الى وَضــح الفجــر

الابيات [١ ــ ١٢] في الاغاني ٣٠٣/١١ .

قال ابن حبيب : كان ابو جلدة يشرب مع ابن عم له من بكر بن وائل ، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه ، فاحتمله ابو جلدة وسقاه حتى نام ، وقال في ذلك : [من الطويل]

١ ــ أبى لي أن ألحى نديمي اِذا انتشــى ... وقال كلاما سَــيّئا لي على السّــكر
٢ ــ وقــاري وعلمــي بالشــراب وأهلــهِ ... وما نادَم القومَ الكرامَ كذي الحجــر
٣ ــ فلســتُ بــلاحٍ لي نديماً بِزَلّــةٍ ... ولا هفوةٍ كانت ونحن علــى الخمــر
٤ ــ عركتُ بجنبي قــول خدني وصاحبي ... ونحن علــى صهبــاءَ طيبّــة النشــرِ
٥ ــ فلمــا تمادى قُلــتُ خذها عريقــةً ... فانك مــن قومٍ حجاجحــةٍ زُهــرِ
٦ ــ فما زلتُ اَسقيــه وأشــربُ مثل ما ... سقيتُ أخي حتى بدا وضَحُ الفجــرِ
٧ ــ وايقنــتُ أن الســكر طارَ بِلُبّــهِ ... فاغــرق في شــتمي وقال وما يــدري
٨ ــ ولاكَ لســانا اِذ كانَ صاحبــاً ... يُقلّبُــهُ في كلّ قــنٍّ من الشــعر

الابيات [١ ــ ٨] في الاغاني ٣٠٩/١١ .

كان ابو جلدة اليشكري قد خرج الى تستر في بعث ، فشرب بها في حانة مع رجل من قومه كان ساكنا بها ، ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد الى بستا والرخج وكان مكتبه هناك ، فاقام بها مدة ، ثم لقي بها ذلك الرجل الذي نادمه بتستر

ذات يوم ، فسلم عليه ودعاه الى منزله فاكلا ثم دعا بالشراب ليشربا ، فامتنع الرجل وقال : اني قد تركتها لك . فقال ابو جلدة وهو يشرب :

[من الطويل]

١ ــ ألا رُبَّ يـوم لي بِسْتَ وليلـةٍ ولا مثـل أيامي المـواضي بتَسْتَرِ
٢ ــ غنيتُ بهـا أَسقي سُـلافَ مُدامةٍ كريـمَ المُحيّـا من عرانين يشـكر
٣ ــ نُبادر شُـربَ الراح حتـى نهرّهـا وتتركنـا مثـلَ الصَـريع المُعفّـر
٤ ــ فذلـك دهـرٌ قـد تولّى نعيمـه فأصبحتُ قـد بُدِّلتُ طول التوقّرِ
٥ ــ فراجعني حِلمي واصبحتُ منهج الشـــرابِ وقِـدماً كنـتُ كالمتحيّـر
٦ ــ وكلُّ أوانِ الحقِّ أبصـرتُ قصَده فلسـتُ وإن نُبهـتُ عنه بمقصـر
٧ ــ سأركضُ في التقوى وفي العلـم بعدما ركضتُ الى أمـر الغـويِّ المُشـهّر
٨ ــ وبالله حولـي واحتيـالي وقوّتـي ومَنْ عنده عرفي الكثـير ومُنكـري

الابيات [١ ٨] في الاغاني ٣١٠/١١ .

[٨]

قال ابن حبيب : وكان ابو جلدة قد استعمله القطاع بن سويد حين تولى سجستان على بست والرخج ، فارجف الناس بالقطاع ، وارجف به ابو جلدة منهم ، وكتب القطاع اليه يتهدده فكتب اليه ابو جلدة :

[من الطويل]

١ ــ يُهدّدني القطاعُ في غَـيرَ كُنهـهِ فقلتُ له بكـرٌ اِذا رُمتني تُرسـي
٢ ــ لعمـري لئـن أوعدتنـي ما ذعرتنـي فدونَكَ فاغضب إنْ غضبتَ على الشمسِ
٣ ــ كأنـا وإيّاكُم اِذا الحـربُ بيننـا أُسودٌ عليهـا الزّعفرانُ مع الورْسِ
٤ ــ تُرى كمصابيـحِ الدّياجي وُجوهُنا اِذا ما لَقينا والهُرقليّـةِ المُلـسِ[1]
٥ ــ هناك السُّعودُ السانحاتُ جَرَت لنا وتجري لكم طَيرُ البوارح بالنَّحـس
٦ ــ وما انـت قعقـاعٌ الإ كمـن معـي كأنّك يوماً قـد نُقِلتَ الى الرّمسِ
٧ ــ أظنُّ بِغالَ البُردِ تسـري اليكُـم به غَطَفانيّـاً وإلا فمـنْ عبـسِ
٨ ــ وإلا فبالبَسّـال يالـك اِن سَـرَت به غـير مغمـوز القنـاة ولا نكـس
٩ ــ فعُمالُنـا أوفـى وخـيرٌ بقيّـةٌ وعُمّالُكـم أهلُ الخيانـة والدَّلبـس
١٠ــ وما لبنـي عمـروٍ عليَّ هـوادةٌ ولا للرّباب غـيرُ تَعسٍ من التَّعسِ

الابيات [١ ــ ١٠] عدا الثاني في الاغاني ٢٩٨/١١ والاول والثاني في حماسة ابن الشجري ١٧٠ ــ ١٧١ ورواية الاول : تهدد .

(١) الهرقلية : الدنانير نسبة الى هرقل ملك الروم .

[٩]

مر مسمع بن مالك بابي جلدة فوثب اليه وانشا يقول : [من الرجز]

١ ــ يا مسمعُ بنَ مالكٍ يا مسمع ٢ ــ أنت الجواد والخطيبُ المِسْقَعُ
٣ ــ فاصنعْ كما كان ابوك يصنع

الرجز في الاغاني ١١/٣١٠ .

[١٠]

ولي مسمع بن مالك سجستان ، وكان مكث ابي جلدةبها ، فخرج فتلقاه ومدحه بقصيدته التي اولها :

[من البسيط]

١ ــ بانت سُعادُ وأمسى حبلُها انقطعا وليتَ وصلاً لها من حَبْلها رجعا
٢ ــ شَطّت بها غُربةٌ زوراء نازحةٌ فطارتْ النفسُ من وَجْدٍ بها قطعا(١)
٣ ــ ما قَرّتْ العينُ إذْ زالت فينفعها طعمُ الرُّقادِ إذا ما هاجعٌ هجعا
٤ ــ مَنعتْ نفسي من روحٍ تعيش به وقد اكونُ صحيحَ الصدرِ فانصدعا
٥ ــ غَدَتْ تلوم على ما فات عاذلتي وقبل لومك ما أغنيتَ مَنْ مَنَعا
٦ ــ مهلاً ذريني فإني غالني خُلُقي وقد أرى في بلاد الله مُتّسعا(٢)
٧ ــ فخري تليدٌ وما انفقتْ أخلفه سيبُ الإله وخيرُ المالِ ما نفعا
٨ ــ ما عَضّني الدهرُ الا زادني كرماً ولا استكنتْ له إن خانَ أو خَدعا
٩ ــ ولا تليُن على العِلاّت مَعْجَمتي في النائبات إذا ما مَسّني طبَعا(٣)
١٠ــ ولا تلَيِّنُ من عُودي غمائزُه إذا المُعَمرُ منها لانَ أو خَضَعا
١١ــ ما يَسّر الله من خيرٍ قنعتُ به ولا أموت على ما فاتني جَزَعا
١٢ــ ولا أُخاتِلُ ربَّ البيتِ غفلتَه ولا أقولُ لشيء فاتَ ما صَنَعا
١٣ــ إني لأمدحُ أقواماً ذوي حَسَبٍ لم يجعلِ الله في أقوالهم قَذَعا

---

(١) غربة زوراء : بعيدة .
(٢) غالني : حبسني .
(٣) المعجمة : القوة والصلابة .

الابيات [١ ــ ١٥] عدا البيت الحادي عشر في الاغاني ١١/٢٩٤ ــ ٢٩٥ .
والبيتان [١١ ــ ١٢] في الحماسة البصرية٢/٨٣ ورواية البيت الثاني عشر :
ولا اخاتل جار البيت .

١٤ــ الطيّبين على العِلاّت معجَمةً لو يُعصرُ المسكُ من إطرافِهم نَبَعا
١٥ــ بني شهابٍ بها أعني وإنهمُ لأكرمُ الناسِ أخلاقاً ومُصطنَعا

[١١]

وقال ابن حبيب عن ابن الاعرابي قال :
كان لابي جلدة بسجستان جار يقال له سيف من بني سعد ، وكان يشرب الخمر ، ويعربد على ابي جلدة فقال يهجوه : [من الطويل]

١ ــ قُل لذوي سيفٍ وسيف ألَسْتُمُ أقلَّ بني سَعدٍ حصاداً ومزرعا
٢ ــ كأنكم جِعلانُ دارِ مُقامةٍ على عذرات الحيِّ أصبحنَ وُقّعا
٣ ــ لقد نالَ سيفٌ في سجِستانَ نُهزةً تطاول منها فوق ما كان إصبعا
٤ ــ أصابَ الزّناد الخمرَ حتى لقد نَمَتْ له سُرّةٌ تَسقَى الشرابَ المُشَعشَعا
٥ ــ فلولا هوانُ الخمر ما ذُقتَ طعمَها ولا شُقتَ إبريقاً بكفّك مُترعا
٦ ــ كما لم يَذقْها أن تكون عزيزةً أبوك ولم يُعرَض عليها فيطمعا
٧ ــ وكان مكانَ الكلب أو من ورائه إذا ما المُغَنّى للّذاذةِ أسمعا

الابيات [١ ــ ٧] في الاغاني ١١/٢٩٧ــ٢٩٨

[١٢]

قال ابن حبيب قال ابو عبيدة :
كان يزيد بن المهلب يهتم بالنساء فقال فيه ابو جلدة : [من الطويل]

١ ــ إذا اعتكرتْ ظلماءُ ليلٍ ونَوّمتْ عيونُ رجالٍ واستلذّوا المضاجِعا
٢ ــ سما نحوَ جار البيتِ يَستامُ عِرسَهُ يزيد دبيباً للمعاناةِ قابعا
٣ ــ وان إمكنتهُ جارةُ البيتِ أو رنتْ إليه اتاها بعد ذلك طائعا

الابيات [١ ــ ٣] في الاغاني ١١ /٣٠٧ .

[١٣]

قال ابو جلدة يرثي مسمع بن مالك : [من البسيط]

١ ــ أقولُ للنفس تأساءً وتعزيةً قد كان من مِسمعٍ في مالكٍ خَلَفُ
٢ ــ يا مسمعَ الخيرِ من تدعو اذا نزلت إحدى النّوائب بالأقوام واختلفوا
٣ ــ يا مِسْمعاً لعراقٍ لا زعيم لها بمن تُرى يَؤمنُ المُستشرفُ النَّطفُ[1]

---

(١) المستشرف : الظالم . يقال : استشرفه حقه اذا ظلمه . والنطف : المريب .

٤ ــ تلك العيون بحيث المصر سادمة تبكيك إذ غالك الأكفانُ والجرفُ
٥ ــ قد وسدوك يميناً غير موسدةٍ وبذل جودٍ لما أودى بك التلفُ
٦ ــ كنتَ الشهابَ الذي يُرمى العدوّ به والبحر منه سجالُ الجود تغترف

الابيات [١ ــ ٦] في الاغاني ٢٩٥/١١ .

[١٤]

قال ابو عمرو الشيباني : كان مسمع بن مالك يعطي ابا جلدة فقال فيه :

[من البسيط]

١ ــ يَسعى أناسٌ لكيما يُدركوك ولو خاضوا بحارَك أو ضحضاحها غرقوا
٢ ــ وانت في الحربِ لارثُ القوى بَرِمٌ عند اللقاءِ ولا رِعديدةٌ فَرِقُ
٣ ــ كلُّ الخلالِ التي يسعى الكرامُ لها إن يمدحوك بها يوماً فقد صَدقوا
٤ ــ سادَ العراقَ فحالُ الناسِ صالحةٌ وسادَهم وزمانُ الناس مُنخرِقُ
٥ ــ لا خارجيٌّ ولا مُستحدثٌ شرفاً بل مجدُ آل شِهابٍ كان مُذْ خُلِقوا

الابيات [١ ــ ٥] في الاغاني ٣١١/١١ .

[١٥]

قال ابن حبيب عن ابن الاعرابي :

وفرق مسمع بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثعلبة عطايا كثيرة وقربهم وجفا سائر بطون بكر بن وائل فقال ابو جلدة :

[من الطويل]

١ ــ إذا بِلتَ مالاً قلتَ قيسٌ عشيرتي تجورُ علينا عامداً في قضائكا
٢ ــ وإن كانت الأخرى فبكرُ بنُ وائلٍ بزَعمك يُحشى داؤها بدوائكا
٣ ــ هنالك لا نمشي الضَّراءَ إليكمُ بني مِسمع إنّا هناك أولئكا
٤ ــ عسى دولةُ الذُّهلينِ يوماً ويشكرٍ تكُرُّ علينا سَبْعَةً من عطائكا

الابيات [١ ــ ٤] في الاغاني ٢٩٦/١١ .

[١٦]

قال ابو عمرو الشيباني : مدح ابو جلدة مقاتل بن مسمع طمعا في مثل ما كان مسمع يعطيه ، فلم يلتفت اليه ، وامر ان يحجب عنه ، فقيل له : تعرضت للسان ابي جلدة وخبثه ، فقال : ومن هو الكلب ، وما عسى ان يقول قبحه الله وقبح من كان منه ، فليجهد جهده فبلغ ذلك من قوله اباجلدة فقال يهجوه :

[من الطويل]

١ ــ قَرى ضيفه الماء القراح ابنُ مسمع وكان لئيماً جارُه يتذَلّلُ

٢ ــ فلما رأى انضيفُ القِرى غير راهنٍ ... لديه تَوَلّى هارباً يَتَمَلْمَل[1]

٣ ــ يُنادي بأعلى الصوت بكر بن وائلٍ ... ألا كُلُّ مَنْ يرجو قِراكم مُضلَّل

٤ ــ عَبيدَكُمْ هَمَّ الضيوف فما لكم ... ربيعةَ أمسى ضيفكم يتحوّل

٥ ــ وخفتُم بأنْ تقرُوا الضيوف وكنتم ... زماناً بكم يحيا الضَّريكُ المُعَيَّل[2]

٦ ــ فما بالكم بالله أنتم بَخلتُم ... وقَصّرتُمُ والضيفُ يُقرى ويُنْزَلُ

٧ ــ ويُكرَمُ حتى يُقترى حينَ يقترى ... يقول إذا ولّى جميلاً فيُجمِل[3]

٨ ــ فمهلاً بني بكرٍ دَعَوا آلَ مسمع ... ورأيَهُمُ لا يَسبقُ الخيلَ مُحنَّل[4]

٩ ــ ودونكُمُ اضيافَكُم فتَحَدَّبوا ... عليهم وواسوهم فذلك أجمل

١٠ــ ولا تصبحوا أُحدوثةً مثلَ قائلٍ ... به يضربُ الأمثالَ مَنْ يتمثل

١١ــ إذا ما التقى الرُّكبانُ يوماً تذاكروا ... بني مسمع حتى يَحمُّوا ويثقلوا

١٢ــ فلا تَقرَبوا أبياتَهم إنَّ جارَهم ... وضيفَهمُ بِيّانِ أنّى توسلوا

١٣ــ همُ القومُ غَرَّ الضيف منهم رُواؤهم ... وما فيهمُ إلاّ لئيمٌ مُبخَّل

١٤ــ فلو بيني شيبانَ حَلَّتْ ركائبي ... لكانَ قِراهم راهناً حين أنزل

١٥ــ أولئك أولى بالمكارم كلّها ... وأجدرُ يوماً أن يُواسوا ويُفضلوا

١٦ــ بني مسمعٍ لا قَرَّبَ اللهُ داركم ... ولا زالَ واديكم من الماءِ يُمحلُ

١٧ــ فلم تَرتَدِعوا الأبطالَ بالبيض والقَنا ... إذا جعلتْ نارُ الحروبِ تأكّلُ

---

(١) غير راهن : غير حاضر .
(٢) الضريك : الفقير السيء الحال .
(٣) اقترى : اضاف والاولى : تتبع .
(٤) المحنل : الضاوي ، الدقيق السيء الغذاء .

الابيات [١ ــ ١٧] في الاغاني ٣١١/١١ ــ٣١٢.

[١٧]

كان ابو جلدة ينادم شقق بن سليط بن بديل السدوسي اخا بسطام بن سليط وكان لهما اخ يقال له ثعلبة بن سليط ، وكان ثقيلا بخيلا متعصبا ، وكان يطفل عليهم ويؤذيهم ، فقال فيه ابو جلدة :

[من الوافر]

١ ــ أُحِبُّ على لذاذتنا شقيقاً ... وأبغضُ مثلَ ثعلبةَ الثقيلُ

٢ ــ له غُمٌّ على الجُلساءِ مُؤذٍ ... نوافِلُهُ إذا شربوا قليل

البيتان في الاغاني ٢٩٦/١١ .

[١٨]

قال ابن الاعرابي :

خطب ابو جلدة امراة من بني عجل يقال لها خليمة بنت صعدة فابت ان تتزوجه وقالت : انت صعلوك فقير لا تحفظ مالك ولا تلفي شيئا انفقته في الخمر ، وتزوجت غيره . فقال ابو جلدة في ذلك :

[من الكامل]

١ ــ لما خطبتُ الى خليمةَ نفسها ... قالت خليمة ما أرى لك ما لا

٢ ــ أودى بمالي يا خليمُ تكرُّمي ... وتَخرُّقي وتَحمُّلي الأثقالا

٣ ــ إني وجدِّكِ لو شَهدتِ مَواقفي ... بالسَّفحِ يومَ أُجِلَّ الأبطالا

٤ ــ سيفي لسَرْكِ أن تكوني خادماً ... عندي إذا كرِه الكماةُ نِزالا

الابيات [١ ــ ٤] في الاغاني ١١/٣٠٠ .

[١٩]

وكان ابو جلدة مع القعقاع بن سويد المنقري بسجستان فلم منه بعض ما عامله به فقال فيه :

[من الوافر]

١ ــ ستعلم أن رأيَك رأي سَوءٍ ... إذا ظِلُّ الأمارة عنك زالا

٢ ــ وراحَ بنو أبيك ولستَ فيهم ... بذي ذكرٍ يزيدهم جَمالا

٣ ــ هناك تذكّرُ الاسلافَ منهم ... إذا الليلُ القصيرُ عليك حالا

الابيات [١ ــ ٣] في الاغاني ١١/٢٩٤ .

[٢٠]

قال يناقض قتادة بن معرب :

[من السريع]

١ ــ قَبُحْتَ لو كنت امرءً صالِحاً ... تَعرِف ما الحق من الباطلِ

٢ ــ كفَفتَ عن شتمي بلا إحْنةٍ ... ولم تَورَّط كِفَّةَ الحابلِ

٣ ــ لكن أبتْ نفسك فعلَ النُّهى ... والحزم والنجدةِ والنائلِ

٤ ــ فتحتَ لي بالشَّتم حتى بَدا ... مكنون غِشٍ في الحشا داخلِ

٥ ــ فاجهد وقُل لا تَتْرُكْ جاهداً ... شَتْمَ امرِيء ذي نجدةٍ عاقلِ

٦ ــ تعذلني في قهوةٍ مُزَّةٍ ... درْياقةٍ تجْلَبُ من بابلِ

٧ ــ ولو رآها خَرَّ من حُبِّها ... يسجُدُ للشيطان بالباطلِ

٨ ــ يا شرّ بكرٍ كلّها مَحتِداً ونُهزةَ المختلسِ الآكل
٩ ــ عِرْضَك وفرّه ودعني وما أهواه يا أحمقَ من باقلِ

الابيات [١ ــ ٩] في الاغاني ٣٠٨/١١ .

[٢١]

بلغ ابا جلدة ان بني رقاش تهددوه بالقتل لهجائه الحضين بن منذر فقال :

[من الطويل]

١ ــ هَدّدِني جهلاً رَقاش وليتني وكُلّ رقاشيٍّ على الأرض في الحبلِ
٢ ــ فباستِ حُضين واستِ أمٍّ رمت به فبئسَ محلُّ الضيفِ في الزمن المحل
٣ ــ وإن انا لم اترك رقاش وجمعَهم اذلّ على وطء الهوان من النّعل
٤ ــ فَشَلّتْ يداي واتبعتُ سوى الهُدى سبيلاً ولا وُفّقتُ للخيرِ والفضلِ
٥ ــ عِظامُ الخُصى ثُطُّ اللِحى مَعدنُ الخنا
مَباخيل بالأزوادِ في الخصب والأزلِ[1]
٦ ــ اذا أمنوا ضرّاءَ دهرٍ تعاظلوا عِظالَ الكلابِ في الدُجّنّةِ والوَجلِ
٧ ــ وإنْ عَضّهم دهرٌ بنكبةِ حادثٍ فأخورُ عيداناً من المَرْخِ والأثلِ[2]
٨ ــ أسودُ شرىً وسطَ الندي ثعالبٌ اِذا حظرتْ حربٌ مَراجلها تغلي

---

(١) ثط : جمع ائط وهو القليل شعر اللحية .
(٢) المرخ والاثل : ضربان من الشجر .

الابيات [١ ــ ٨] في الاغاني ٣٠٥/٢١ .

[٢٢]

قال ابو سعيد وحدثني ابو صالح قال :
بلغ ابا جلدة ان زيادا الاعجم هجا بني يشكر فقال فيه :

[من الكامل]

١ ــ لا تَهجُ يشكر يا زياد ولا تكُنْ غَرَضاً وانتَ عن الأذى في مَعزلِ
٢ ــ وأعلمْ بأنهمُ اِذا ما خُصّلوا خيرٌ واكرمُ من أبيك الأعزلِ
٣ ــ لولا زعيمُ بني المُعلّى لم نَبِتْ حتى نُصبّحكم بجيشٍ جحفلِ
٤ ــ تمشي الفُراءَ رجالهم وكأنهم أسدُ العرين بكلّ عَضْب مُنصَلِ
٥ ــ فاحذَرْ زيادٌ ولا تكُنْ ذا تُدراءٍ عند الرجالِ وتهزةً للمُخجَلِ

الابيات [١ ــ ٥] في الاغاني ٣٠٢/١١ .

[٢٣]

عشق ابو جلدة اليشكري دهقانة ببست وكان يختلف اليها ويكون عندها دائما وقال فيها :

[من الطويل]

١ ــ وكأسٍ كأنّ المسكَ فيها حَسوتُها ... ونازعنيها صاحبيْ لي مُلَوَّمُ

٢ ــ اغرُّ كأنّ البدرَ سُنَّةُ وَجهه ... له كفل وافٍ وفرعٌ ومَبسم

٣ ــ يُضيء دُجى الظلماء رونَق خَدِّه ... ويَنجابُ عنه الليل والليلُ مظلمُ

٤ ــ وثَديانِ كالحُقّينِ والمتنُ مدمج ... وجيدٌ عليه نَسْقُ دُرٍّ منظَّمُ

٥ ــ وبطنٌ طواه الله طيّا ومَنطِق ... رخيمٌ وردفٌ نيطَ بالحِقو مُفأَمُ[1]

٦ ــ به تَبَلتْني واستبتني وغادرتْ ... لظىً في فؤادي نارُها تتضرّمُ

٧ ــ أبيتُ بها أهدي إذا الليلُ جَنّني ... وأصبح مبهوتاً فما أتكلّمُ

٨ ــ فمن مُبلغٌ قومي الدنا أن مُهجتي ... تُبينُ ، لئن بانت ألا تَتلوّمُ

٩ ــ وعهدي بها ــ والله يُصلحُ بالها ــ ... تجودُ على مَنْ يُشتهيها وتُنعم

١٠ــ فما بالُها ضَنّتْ عليّ بودّها ... وقلبي لها يا قومُ عانٍ مُتيّم

---

(١) نيط بالحقو : علق به . والحقو (بالفتح والكسر) : الكشح . وردف مفأم : سمين .

الابيات [١ ــ ١٠] في الاغاني ٢٠٦/١١ .

[٢٤]

قال ابن حبيب :

ولحق ابا جلدة صميم من بعض الولاة فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبة للسلطان فهتف باعلى صوته : يا مسمع بن مالك ، يا امير بن احمر ثم انشا يقول : [من الوافر]

١ ــ ولما رأيتُ سَراةَ قومي ... سُكوتاً لا يُثوبُ لهم زعيمُ

٢ ــ هتفت بمسمع وصدى أميرٍ ... وقبرٍ مُعمّرٍ تلك القروم

البيتان في الاغاني ٢٩٩/١١ .

[٢٥]

وقال : [من الطويل]

١ ــ أمن ضرطةٍ بالخيزران ضرطتْها ... تَشَدّد منّي دارةٌ وتلينُ

٢ ــ فما هو إلا السيفُ أو ضرطةٌ لها ... يثور دُخانٌ ساطعٌ وطنين

البيتان في الاغاني ٣٠١/١١ .

[٢٦]

وقال ابو جلدة يوثب قومه :

[من الوافر]

١ ــ أيا لهفي ويا حزني جميعاً ... ويا غمّ الفؤاد نِسا لقينا

٢ ــ تركنا الدين والدنيا جميعاً ... وخلّينا الحلائل والبنينا

٣ ــ فما كنّا أناساً أهل دينٍ ... فنصبر للبلاء إذا بُلينا

٤ ــ ولا كنّا اناساً أهل دنيا ... فنمنعها وإنْ لم نرجُ دنيا

٥ ــ تركنا دُورنا لطغام عَكٍّ ... وأنباط القرى والاشعرينا

الابيات [١ ــ ٥] في الاغاني ٢٩٣/١١ .

وهي في الطبري ٣٦٨/٦ وقدم لها بقوله :دخل بعض اهل الشام قصراً في المفازة فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض اهل الكوفة من شعرابي جلدة اليشكري وهي قصيدة طويلة : وفي رواية بعض ابياتها اختلاف .

[٢٧]

قال ابو سعيد العسكري وعمر بن سعيد صاحب الواقدي:

ولعمرو بن صوحان يقول ابو جلدة اليشكري وطالتصحبته اياه فلم يظفر منه بشيء :

[من البسيط]

١ ــ صاحبتُ عمراً زماناً ثم قلتُ له ... إلحقْ بقومك ياعمرو بن صُوحانا

٢ ــ فإن صبرتَ فإنّ الصبرَ مَكرُمةٌ ... وإنْ جزَعتَ فقد كان الذي كانا

البيتان في الاغاني ٣٠١/١١ .

[٢٨]

قال في دهقانة لما يئس منها :

[من الوافر]

١ ــ صحا قلبي واقصر بعد غيٍّ ... طويل كان فيه من الغواني

٢ ــ بأن قَصَدَ السبيل فباع جهلاً ... برُشدٍ وارتجى عُقبى الزمانِ

٣ ــ وخاف الموت واعتصم ابن حُجرٍ ... من الحُبِّ المُبرِّح بالجَنانِ

٤ ــ وقِدماً كانَ معتصِماً جموحاً ... الى لذّاته سَلِسَ العنانِ

٥ ــ واقلع بعد حَبوتهِ وأضحى ... طويلَ الليل يَهرِف بالقُرانِ

٦ ــ ويدعو الله مُجتهداً لكيما ... ينالَ الفوزَ من غُرفِ الجنانِ

الابيات [١ ــ ٦] في الاغاني ٣٠٦/١١ .

[٢٩]

قال ابن حبيب : سأل ابو جلدة الحضين بن المنذر الرقاشي شيئا فلم يعطه اياه وقال : لا اعطيه ما يشرب به الخمر . فقال ابو جلدة يهجوه : [من السريع]

١ ــ يا يومَ بُؤسٍ طَلَعتْ شمسُه ... بالنَّحس لا فارقتَ رأسَ الحُضَينِ

٢ ــ إن حُضَيناً لم يزل باخلاً ... مُذْ كان بالمعروفِ كزَّ اليدين[1]

---

(١) كز اليدين : بخيل .

البيتان في الاغاني ٣٠٣/١١ .